

هل شعرت سوريا بقرب انتهاء عقدها في لبنان؟

بقلم الكولونيل شربل بركات

قبل أن تبدأ المباحثات السورية الإسرائيلية بشكلها الجدي في الولايات المتحدة بثلاثة أيام وقبل أن يستقبل اللبنانيون العام ٢٠٠٠ بالأمل بفجر السلام الآتي ليخيم على المنطقة بأسرها، بدأ مسلسل جديد من الإرهاب بعيدا كل البعد عن الحدود الإسرائيلية اللبنانية هذه المرة ولا علاقة له ظاهريا بما يجري في أمريكا . وقد كان أبطاله من الأصوليين السنة نسب بعضهم إلى "بن لادن" والبعض الآخر إلى تنظيمات فلسطينية غير معروفة حتى أن البعض ذكر الأفغان وغيرهم من الغرباء وتداولت بعض وسائل الإعلام أسماء تنظيمات أصولية مثل "التكفير والهجرة" التي عرفت بنشاطها الإرهابي في مصر وحاول آخرون أن يثيروا إلى وجود سوريين أيضا بين هؤلاء القتلة . ثم وفي اليوم التالي يظهر قاتل آخر في قلب العاصمة ويفتح معركة تعيدنا بالذاكرة إلى سني الأحداث فتسمع بيروت دوي الانفجارات والرصاص وتغلق الشوارع، وإذا بالفاعل أيضا أحد عناصر تنظيم فلسطيني من جماعة "أبو محجن" المطلوب منذ زمن للعدالة والمحكوم بالإعدام من قبل القضاء اللبناني . ما يدعو إلى التساؤل هو لماذا اليوم تظهر الأجهزة الأمنية اللبنانية وكأنها عاجزة عن ضبط الأمور وكأن مخابراتها لا عمل لها إلا التجسس على الجنوبيين وتفتيش المتوجهين منهم إلى بيروت بحثا، ليس على السلاح أو المتفجرات، بل على نعل حذاء أو قنينة ماء أو علبة محارم ورقية قد يكون مصدرها "العدو الصهيوني"، بينما تسرح وتمرح أفواج من الإرهابيين فتستأجر بيوت وتحتل قرى بكاملها ثم تهاجم قوى الجيش بعد أن تكون أرسلت رسائلها المعهودة من قنابل وتفجيرات في بعض كنائس الشمال . ونضحك في قلوبنا ثم نبكي ألما على الضحايا والأبطال من عناصر الجيش اللبناني أو قوى الأمن الداخلي الذين يستعملون وقودا لسياسات أقل ما يقال بها أنها لا تخدم الوطن ولا بنيه بل هي قد تكون لمصلحة بقائه محتلا ومحكوما من أجهزة غريبة تترك جزرا أمنية هنا وهناك وتمنع تفكيكها تحت ألف حجة وحجة كي يبقى البلد أسيرا لها ويبقى الحكم عاجزا فتستطيع أن تهدده في أية لحظة بتحريك هذه البؤر وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل إكمال احتلالها له أي قبل ١٩٩٠ .

ويظهر أن السوريين يريدون إفهام المعنيين بأنهم لا يرغبون ببحث مسألة انسحابهم من لبنان بعد أي اتفاق يتوصلون إليه مع إسرائيل، فمسألة لبنان ليست فقط "العدو الصهيوني" و"خاصرة دمشق" المهتدة منه بل هي الآن التنظيمات الأصولية السنية و"الإخوانجية" والفلسطينية وغيرها ممن يهدد "النظام السوري" ويقلق الحكم اللبناني ولا قدرة لهذا الحكم بقواه الذاتية على التحكم بالأمور وفرض النظام، ما يدعو الدول الغربية وعلى رأسها

الولايات المتحدة الأمريكية إلى الطلب من سوريا البقاء في لبنان رغما عن أنف اللبنانيين لأنها مصلحة دولية؛ محاربة الإرهاب العالمي مع كل حساسية الأمريكيين على موضوع مثل "أسامة بن لادن" وجماعته، وأيضا استتباب الأمن والاستقرار في لبنان رحمة ببنيه كونهم قد عانوا الأمرين قبل الدخول السوري وسوف يعودون إلى نفس المعاناة في حال الطلب إليهم الخروج . وقد يقول قائل لماذا يحتاج السوريون إلى هذه الجماعات لتبرير وجودهم ولديهم حزب الله الذي يعتبر وحده مشكلة كبرى فكيف إذا ما أضيف إليه جماعة الطفيلي الذي لم يسوى أمره بعد . ولكننا نقول بأن الأجهزة السورية، التي دارت الأزمات اللبنانية كل هذه المدة، واعية لكل تحرك ولكل المتغيرات، فالتحول نحو الخط السلمي سوف يفقد سوريا الدعم الإيراني مع كل ما يشكل ذلك من مصادر مالية، وسوف تكون الدول العربية السننية بالغالب هي المصدر البديل، وبما أن السنة في لبنان متضررون من السيطرة الشيعية وكثرة مطالبها ودورها المتعاضم في الحكم ولا يزال لهم بعض التأثير على أنظمة عربية كالمملكة العربية السعودية وغيرها، سيطالبون بدون شك تخفيف هذا الدور في المستقبل . وقد تكون الجماعات الشيعية هذه وخاصة حزب الله المرتبط بإيران رقما يصعب التعامل معه بعد اتفاق مع إسرائيل، بدون مباركة إيران، ولذا فإن تغيير المعادلة هنا قد تفرغ الساحة من "بطل الفيلم" الذي بدونه تنتفي الحاجة إلى "الوجود" السوري مع كل ما يترتب على هذا "الوجود" من خوات والتزامات وخضوع في "موسم الغلة" التي ستنتج بعد الاتفاق مع إسرائيل، فلا يمكن أن تترك "البقرة اللبنانية الحلوب" بدون أن تستفيد منها دمشق التي اعتادت خلال الخمس والعشرين سنة الماضية على "الحليب اللبناني" . من هنا فإن التحضير ل"بطل" جديد يزين الساحة بالإرهاب السنني، هذه المرة، والتي تخافه بعض الأنظمة العربية ويعتبره البعض الآخر مظهر قوة بديل يمكن أن يستعمل للضغط هنا وهناك، سوف يساهم في تجديد "العقد السوري" لمحاربة الإرهاب واستيعابه لأن السوريين قد أظهروا المقدرة في التعامل سابقا مع حزب الله وطوعوه نوعا ما بجعله "البطل القومي" وحصروا إرهابه في منطقة لم تعد تؤثر على العالم ككل بعد أن التزموا هم هذه المسألة، وها هم اليوم على وشك أن ينتهوا منها بشكل أو بآخر، ولذا فهم يحضرون مشروعهم الجديد الذي على أساسه سوف يجدد عقدهم في لبنان . فيا أيها اللبنانيون افتحوا عيونكم وانتبهوا للمخططات التي تحضر لكم فلن يهدأ لنا بال ما لم يخرج هؤلاء الغرباء الذين يلعبون بنا منذ أكثر من خمس وعشرين عام فيقتلون أولادنا لمصالحهم ويحاربون بنا ويحصدون كل شيء ونحن غافلون خائفون من تهديدهم فالساعت عن الجريمة شريك بها .

جنوب لبنان في ٢٠٠٠/١/٤